حوار

أدرس التراث وفق مقاييس علميّة

حسن أشكناني: بيتي في أميركا متحف كويتيّ

لافي الشمري

ولج حسن أشكناني عالم التراث من باب الهواية منذ طفولته، مقتنياً القطع التراثية والوثائق الورقية المهمة، مدخراً مصروفه اليومي رغبة في الحصول على تحفة قديمة يستذكر عبرها ملامح من حياة الأجداد. ومضى بخطوات حثيثة باتجاه إشباع هوايته التي أصبحت بعد ذلك بحثه العلمي ودراسته الأكاديمية.

«الجريدة» التقته وأجرت معه هذا الحوار.

أخبرنا عن بدايتك في التراث؟

بدأت منذ الصغر باقتناء القطع التراثية المتعلقة بالبيئة الكويتية القديمة، وكانت تشدني هذه المقتنيات الأثرية، وحينما أراها أجلس طويلاً أمامها أدقق بتفاصيلها، متصوراً شكل الحياة إبان تلك الحقبة، وكيف كان يعيش الأجداد ضمن أجواء صعبة جداً، يحاولون التأقلم مع شظف العيش وقسوة الحياة، ويتحدّون الصعاب ويقهرون العقبات.

ألم تكن محط استغراب الآخرين، لا سيما أنك اتجهت إلى هواية تفوق اهتمام أقرانك؟

بصراحة، أترابي كانوا يهزؤون مني، ويرمقونني بنظرات الريبة والاستغراب، بسبب هوايتي التي يعتبرونها مجرد «تجميع التنك»، لكن مع مرور الوقت بدأوا يفقهون أن جمع التراث علم بحد ذاته ويُدرّس في الجامعات.

بعد إدراكهم هذه الحقائق باتوا يساعدونني في الحصول على قطع التراث، ويشترون الأثريات النادرة سواء في الكويت أو في البلدان الأخرى.

هل تلقيت أي دعم معنوي أو مادي من الأهل؟

عائلتي تهتم بالتراث، ولدي والدي مقتنيات أثريّة ورثها عن جدي، أما بقية أفراد أسرتي فيشجعوني على الحفاظ على هذا الإرث الثقافي والحضاري.

اتجهت إلى جمع التراث في السابعة من عمرك، ما هي مصادرك في الحصول على المقتنيات الأثرية الثمينة؟

كنت أدخر مصروفي اليومي وفي نهاية الأسبوع أذهب إلى سوق الجمعة لشراء بعض الأثريات والمقتنيات التراثية. أنا على علاقة وطيدة بالتراث، لذا لا أشعر بالحرمان بسبب إنفاق مصروفي اليومي على شراء المقتنيات التراثية، على النقيض من زملائي الذين ينفقونه على اللعب في الملاهي أو الوجبات الغذائية.

حينما اقتني قطعة تراثية أشعر بسعادة لا توصف، لذا بدأت علاقتي تتوثّق رويداً رويدا بالمقتنيات الأثرية، ولم يكن يجذبني أي شيء آخر غيرها.

ما هي أول قطعة تراثية اقتنيتها؟

«غترة» أم دامة أو ما يسمى «كوفية». كذلك أهدتني عائلتي مجموعة مقتنيات أثرية متنوعة، حينما أدرك الجميع أن شغفي بالتراث ليس مجرد نزوة أو حب مرحلة المراهقة.

ما هي أبرز القطع الأثرية التي تقتنيها؟

«صندوق مبيت» يستخدم لحفظ الملابس والحلي وقد اشتراه والد جدي من الهند في عام 1928 هدية لجدي في يوم زواجه. الصندوق كبير ويتميّز بالزخارف والنقوش والدبابيس المعدنية الجميلة. كذلك أملك نسخة من جواز سفر جدة والدتي استخرجته في عام 1932، إضافة إلى أجهزة قديمة من بينها راديو قديم جداً و«بشتخته» الفنان المصري الراحل يوسف وهبي، ومحبرة الخديوي توفيق، ناهيك عن أدوات منزلية وملابس شعبية وألعاب قديمة للأطفال وأدوات زينة...

هل كان يشغلك شغفك بالتراث عن متابعة تحصيلك العلمي؟

إلى حد ما، لكن أفراد أسرتي كانوا يوجهون إليّ النصح بالاهتمام بتحصيلي العلمي، خصوصاً أنني بدأت ممارسة هواية جمع الأثريات منذ الصغر، وكما يعرف الجميع البحث في التراث ليس سهلاً بالنسبة إلى طفل، إذ كان يتطلب مني الذهاب إلى الأماكن التراثية والتدقيق جيداً بما أراه وأسمعه والتأكد من دقة المعلومات وصحتها.

بفضل توجيهات أسرتي استطعت التنسيق بين واجباتي المدرسية وممارسة هوايتي، ومع مرور الوقت باتت الهواية التي تشغلني عن دراستي تخصصي لأنني قررت دراسة التاريخ، ثم علم الانسان والآن أتابع دراستي العليا في علم الآثار في الولايات المتحدة الأميركية.

هل حاولت نقل هذا التراث إلى الولايات المتحدة؟

شاركت في معارض عدة في أميركا، ونظراً إلى حرصي الشديد على المقتنيات الأثرية التي بت لا أستطيع العيش بعيداً عن أجوائها، حوّلت بيتي في أميركا الى متحف صغير فيه قطع السدو والدلة والسفن القديمة والعملات الكويتية والصحف النادرة والآثار الكويتية وملامح من البيت الكويتي القديم.

في عام 2001 شاركت في معرض هواة جمع التراث، حدثنا عن هذه المشاركة؟

كنت سعيداً جداً بهذه المشاركة، خصوصاً أنها جاءت بمناسبة اختيار الكويت عاصمة الثقافة العربية، وما زاد من غبطتي أنني كنت أصغر الهواة المشاركين في المعرض (18عاماً)، وعلى أثر هذه المشاركة قررت الاتجاه الى دراسة التراث وفق مقاييس علمية دقيقة، فبدأت بفرز القطع التراثية وتسجيلها وتصنيفها بحسب عمرها الزمني والمكاني، وبعد التحاقي بجامعة الكويت قررت التخصص في دراسة تاريخ الكويت.

هل ثمة مشاركات أخرى؟

بعد هذه المشاركة التي عرّفتني إلى المشتغلين بالتراث من الأساتذة والباحثين وكانت بمثابة جواز مرور إلى عالم التراث الأكاديمي، قدمت معرضاً للمعسكر الأميركي في جنوب الكويت عام 2004 ومعارض متنوعة في وزارة التربية ومعظم مناطق الكويت. كذلك شاركت في معرض «الكويت في قلب التاريخ» في جامعة الكويت وفي معرض صور عن آثار الكويت والغزو العراقي في ولاية ميتشغن، وحصلت على تكريم من جهات ثقافية وأكاديمية في الكويت، أبرزها «المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب» وجامعة الكويت ووزارة التربية وجمعية المرشدات الكويتية وغيرها.

أخبرنا عن متحفك الخاص؟

في البداية خصصت مكاناً صغيراً في الكويت لوضع هذه المقتنيات، ومع مرور الأيام ازداد عددها فأنشأت «متحف اشكناني للقطع الأثرية»، وبدأ الجمهور بزيارته الى أن أصبحت سمعته طيبة.

من يزور المعرض؟

التلامذة والطلاب لأنه يحتوي على وثائق ومقتنيات أثرية يعكفون على دراستها مثل العملات الكويتية والألعاب القديمة. كذلك يأتي إلى المعرض الزوار الأجانب من أميركا وأوروبا.

بشتخته

أحوال المعنى (الباب والعتبة)

زاهر الغافري
zaheralghafri@yahoo.se

الباب المشرع، الباب المفتوح، دعوة للقادم من بعيد. اشارة لدخول الضيف الغريب والمجهول. دلالة على القلب، على انفتاح الروح وسعتها، الباب سُكنى وتجلٍّ.

الباب المغلق غامض، سري، يلزمه طرقٌ وله جاذبية اغوائية: فرادة الاكتشاف ودعوة غير صريحة للمعرفة، الانسان الاول، الانسان البدائي، سكن في البرية والكهوف. الكهوف لا ابواب لها، لأنها عادة ما تكون مخفية، الانسان الحديث يسكن بين جدران، في عُلب أسمنتية والابواب يلزمها قفل ومفتاح، لكن قبل الباب هناك العتبة، العتبة هي مركز التردد، الحد الفاصل بين الداخل والخارج. العتبة امتحان القلب، العتبة هبة الغزل الى الاقدام. لا ينتبه الساكن الى العتبة ولا العائلة، انما الضيف، المجهول والغريب.

هناك قصص وروايات يلجأ فيها البطل الى واحدة من الاكتشافات المذهلة: التلصص من ثقب الباب. مركز الثقل في هذه القصص والروايات هي تلك الاستيهامات والخيالات الممتزجة بالواقائع، حتى تكاد تكون العين هي البطل، هنا يتم اختراق الباب بأكثر الاساليب سرّية وعزلة. التلصص فكرة مبنية على الفردية. السينما أيضاً مبنية على فكرة التلصص، لكنها تنزع الطابع السرّي عن العالم. انت أمام شاشة او جدار ابيض وهو اشبه بباب مقفل، لكن تلك البقعة الضوئية القادمة من خلفك وانت غارق في الظلمة ستكون هي المفتاح، ستفتح لك بكرم فائض، عالماً فاتناً لا ينتهي، فإذا الأبواب تنفتح أمامك، لتدخل حتى الى غرف النوم واكثر الاماكن حميمية وسرّية، وهكذا يتم انتهاك السّر. هذا ما يحدث ايضاً في الحكايات الشفاهية وفي المرويات. في الف ليلة وليلة، تحذر الحكاية من فتح باب ما. (عادة ما يكون الباب الثالث أو السابع وهما رقمان فرديان). كل الأبواب يمكن دخولها إلّا بابا واحدا. يحتوي التحذير، على الفضول. تقول الحكاية: لا تفتح هذا الباب! لكن الحكاية وبطريقة مواربة ترمي اليك بالمفتاح، انه سؤال المعرفة، لكن لنعد الى العتبة، العتبة أيضاً قد تكون كناية عن الكرم واستقبال الضيف، أو الزوجة. في المدونات التاريخية، تبرز قصة النبي ابراهيم حينما قام بزيارة الى ابنه اسماعيل اثناء غيابه، وكان النبي ابراهيم قد تنكر على هيئة شيخ أو عابر سبيل، لكن زوجة ابنه أساءت معاملته كضيف، فرحل النبي ابراهيم تاركاً له بلاغاً يقول: "غيّر عتبة بيتك فإني لم أرضها" فلما عاد أسماعيل وفهم الرسالة، طلق زوجته، هكذا تحمل العتبة هنا رمزية مكثفة بين الداخل والخارج، بين الالتحام والانفصال. في البيوت العمانية التقليدية، المبنية من الطين والحجارة، عادة ما تكون ابوابها الخشبية المزخرفة صغيرة وواطئة أو هكذا تبدو بعد أن كبرنا، ولكي ندخل من هذه الابواب ينبغي علينا، ان نرسم تلك الانحناءة الصغيرة لرؤوسنا. أميل الى اعتبار هذا الامر نوعاً ليس من الاحترام فحسب بل اشبه بإلقاء تحية الدخول، للبيت وساكنيه، نوعاً من التبجيل وانت تدخل الى مقام آخر، يزداد الامر تهيباً عندما يكون البيت مهجوراً، فأنت في هذه الحالة تلقي التحية الى تلك الارواح الساكنة غير المرئية.

يذكر ساران الكسندريان، ان هوس السورياليين، بالغريب والمدهش، دفعهم الى الاهتمام بفن العمارة، وقد انجزوا في هذا المضمار صرعات معمارية، في منتهى الغرابة، وقد ذهب سلفادورد دالي الى انه "ينبغي للعمارة ان تنتج مدركات حقيقية عن رغبات جامدة". وذهب مارسيل دوشامب 1887-1967 صاحب (المبولة) الشهيرة الى صنع باب شقته، بحيث يمكن فتحه وغلقه في الوقت ذاته، فحين تفتح للدخول الى غرفة النوم، كان الحمام يغلق وحين يفتح الحمام كان الاستوديو يغلق.

لماذا هذا الهوس بالأبواب، ألأن الانسان في الاصل كائن مغلق؟ ثم انفتح له الباب الاول، باب الرحم وعندما خرج الى العالم قام هو الآخر باختراع الأبواب.

من المعروف أن الأبواب تتخذ عند المجتمعات المختلفة طقوساً تكاد تقترب من التقديس أو دفع الشر والأذى. لذلك يحدث أن تصادف تعويذة معلقة على الباب، على شكل كف "كف العباس" أو "كف فاطمة" أو قبضة يد أو قناع أو حدوة حصان. علامة فاتنة وهي في الوقت ذاته حامية البيت.

قلت سابقاً إن الباب المغلق يلزمه طرق. واذا طُرق بابك فأنت تتوقع شخصاً ما، لكن عند سركون بولص في قصيدة قديمة له (آلام بودلير وصلت) يصبح التخييل الشعري اشارة الى ما هو غير متوقع مطلقاً. من القادم الغريب إذن؟

غزالة تأكل الملح على بابي
أي ملح بقي لي ايها الماضي؟

كتاب

«تاريخ علم الفلك القديم والكلاسيكي»...

حركة الكون في عيون العلماء

بيروت - عبد الله أحمد

صدر حديثاً عن «المنظمة العربية للترجمة» كتاب «تاريخ علم الفلك القديم والكلاسيكي» للعالم الفلكي الفرنسي جان بيار فردي (ترجمة الدكتورة ريما بركة).

يرسم الكتاب مراحل تطور علم الفلك الغربي الأساسية منذ عصر اليونان (مع ما تأثروا به من الحضارات القديمة)، حتى تفوق الميكانيك السماوي في العصور الكلاسيكية.

يعرض الكتاب لوحة عامة لتاريخ هذا العلم بقواعده الأساسية التي يرتكز عليها علم الفلك الحديث، كذلك يركّز على الاكتشافات المتوالية التي شهدها علم الفلك في تاريخه الطويل ويقدّم، إضافة إلى الأحداث العالمية المتعلقة به، أبرز العلماء الذين طوروا دراسة الأجرام السماوية وأحدثوا انقلابات عظيمة في رصد السماء وتحديد بنياتها وقوانينها. ولا ينسى مؤلف الكتاب أن يربط تطور هذا العلم بعلوم الرياضيات التي كانت أساس عدد كبير من الاكتشافات الفلكية.

يدرس الكتاب معظم مراحل علم الفلك منذ بداياته في العصور القديمة، وحتى استتباب نظرياته في العصر الكلاسيكي مع اكتشاف آخر كوكب في نظامنا الشمسي، نبتون. وينقسم إلى ستة فصول: يتناول الأول علم الفلك عند البابليين والمصريين القدامى، وأسس التقاويم التي وضعوها والمشاكل التي واجهوها، فيما يشرح الثاني مبادئ علم الفلك عند اليونان، ونظريات حركة الكواكب وتطورها، من أبولونيوس الذي ابتكر نظام الكرات المشتركة المركز، إلى هيبارخوس واكتشاف مبادرة الاعتدالين، وبطليموس وتطويره نظرية حركة الكواكب.

يُعنى الفصل الثالث بعلم الفلك عند العرب، فيبدأ بترجمة زيج السندهند إلى اللغة العربية وتأثيره في علم الفلك العربي، ويستعرض أعمال أهم علماء الفلك العرب ومؤلفاتهم واكتشافاتهم ومساهماتهم في تطور علم الفلك ونظرياته، والتصحيحات التي أدخلوها على علم الفلك اليوناني الذي ورثوه، وتأثيرهم بعلم الفلك في أوروبا. ويتوقف الفصل الرابع عند الثورة الكوبرنيكية ونقد نظرية مركزية الأرض واستبدالها بنظرية مركزية الشمس، وعند قوانين كيبلر الثلاثة لحركات الكواكب، وعند غاليليه ومنظاره الفلكي ورصدة أقمار المشتري، وعند أعمال تيكو براهي.

أما الفصل الخامس فيخصصه المؤلف لعالم الفلك إسحق نيوتن وكتابه «المبادئ» واكتشافه قانون الجاذبية الكونية وأثره على علم الفلك ونظرياته. ويتناول الفصل الأخير أعمال عدد من علماء الفلك في القرن الثامن عشر واكتشافاتهم، كأويلر وتأسيسه علم الميكانيك التحليلي، وموبرتوي ومبدأ كمية الفعل الأقل، ثم يتناول مسائل صعب حلها في ذلك العصر، كنظرية حركة القمر، وينتهي باكتشاف لو فيرييه كوكب نبتون وانتصار علم الميكانيك السماوي.

ثلاثة أسس

يعرض الكاتب موضوع تطوّر علم الفلك بطريقة شمولية ترتكز على ثلاثة أسس للتحليل الفلكي، هي: العلماء الراصدون، والتقنيات المستعملة، والنظريات الفلكية وتقدمها وتطورها عبر العصور. فالكاتب يعرض تاريخ علم الفلك عبر استعراض حياة علماء الفلك الأكثر بروزاً، من ميتون وأبولونيس وبطليموس عند اليونان، إلى لاغرانج ولابلاس وهيرشل في القرن الثامن عشر، مروراً بأهم علماء الثورة الفلكية الأوروبية، ككوبرنيكوس وكبلر وغاليليه وتيكو براهي ونيوتن، كذلك عبر استعراض أعمالهم والتقنيات التي استعملوها في رصدهم الأجرام السماوية لوضع النظريات الفلكية، وهو بالتالي يستعرض تطور النظريات الفلكية وتقدمها، لا سيما التي تتعلّق بحركات الكواكب والأجرام السماوية.

تؤكد المترجمة في مقدمتها أن الإنسان بدأ بالاهتمام بالسماء والأجرام السماوية منذ فجر التاريخ، عندما رفع رأسه نحو السماء ليتأمل الشمس والقمر والكواكب والنجوم. غير أن علم الفلك لم يكن، حتى في بداياته، نشاطاً تأملياً بحتاً ومن دون فائدة عملية. فقد اهتم الإنسان برصد ظهور الأجرام السماوية ومكان وجودها وحركاتها لأمور بسيطة تخصّ حياته اليومية، إذ كانت الشعوب المسافرة، خصوصاً البحارة والقوافل، تهتدي سبيلها بواسطة الأجرام السماوية، سواء على البر أو في البحر.

كذلك استطاع الإنسان أن يربط بين حركات الكواكب والظواهر السماوية من جهة، والفصول من جهة أخرى. فالمصريون القدامى لاحظوا أن فيضان النيل السنوي يتوافق مع بزوغ النجم سوثيس الشمسي، وقد وضعوا تقويماً زراعياً يبدأ مع أول ظهور في الشرق لهذا النجم، مباشرة قبل شروق الشمس.

يذكر الكاتب أن شعوباً أخرى غير المصريين، كالبابليين واليونانيين والرومان، وضعوا تقويمهم بناءً على رصدهم حركة الشمس أو القمر أو نجم ما، وأرخوا بالنتيجة أحداث وجودهم وفقاً له. فالكهنة الفلكيون الأزتيك كانوا يضعون تقويمهم بناءً على مراقبة نجم الدبران في كوكبة الثور، وبنى البابليون تقويمهم على أوجه القمر فدرسوا حركات الشمس والقمر، وتوصلوا تقريباً إلى توقع خسوفات القمر وكسوفات النجوم. أما في الحضارة الإسلامية فقد ازداد الاهتمام بعلم الفلك، إذ أن ممارسة الدين الإسلامي تتطلب معرفة دقيقة لمواقيت الصلاة وبداية شهر رمضان ونهايته واتجاه الكعبة للصلاة. غير أن اهتمام العرب بعلم الفلك بدأ قبل الإسلام، ذلك لوجودهم في الصحراء حيث لا يوجد أي معالم ليهتدوا بها سوى النجوم في السماء، ثم جاء الإسلام ليزيد من أهمية هذا العلم عند العرب، فأضاف الدوافع الدينية إلى الدوافع الحياتية المباشرة.

البابليون

يعتبر المؤلف أن المؤرخون يتفقون على أن البابليين اهتموا بالأرصاد الفلكية أكثر من أي شعب آخر في التاريخ القديم، وقد حققوا منجزات فلكية تفوق في جدتها وأهميتها ما حققته شعوب قديمة عدة، كما فعل المصريون القدامى والصينيون، فهم الذين حسنوا رصد الشمس والقمر، وراقبوا ظهور يوم القمر الجديد، كذلك استعملوا طرقاً جديدة لحساب حركة الكواكب ومسارها.

إضافة إلى ذلك، ربطت الشعوب القديمة بين حركات النجوم والكواكب ومواقعها في الأبراج السماوية وبين مستقبل كل فرد ومصيره، فاستعملت معارفها في هذا المجال للتكهن بالطالع والتنجيم والتنبؤ بالأحداث المقبلة. لكن الكاتب يلفت إلى أنه ومهما ابتعدت المسافة التي تفصل بين هذه النظرة إلى الكواكب والمنهجية العلمية، أو اقتربت، فإن ما هو ثابت وأكيد أن اهتمام الإنسان القديم بعلم الفلك ساهم كثيراً في تطوير علم الفلك الرصدي، إذ إن علم التنجيم قد عني بدراسة الظواهر الفلكية ورصد حركات الكواكب ودورانها ومواقعها لربطها بأحداث حياة الإنسان وقدره.

يشير الكاتب إلى أن الحضارة العربية عرفت عدداً كبيراً من علماء الفلك الذين برزوا من خلال اكتشافاتهم ومؤلفاتهم. وكان أحد أشهر هؤلاء الخوارزمي الذي وضع زيجين فلكيين عرفا باسم زيج السندهند، وكان أثرهما كبيراً في الأزياج التي وضعها العلماء العرب بعد ذلك؛ كذلك يحضر في هذا المجال الفرغاني الذي قام بحساب خطوط الطول الأرضية وحدد أقطار الكواكب الأخرى مقارنة بقطر الأرض؛ أما ثابت بن قرة الحياني فدرس سرعة النجوم الظاهرة وميل دائرة البروج، وقام بحساب دقيق لطول السنة الشمسية ولم يخطئ بالنسبة إلى القيمة الحالية سوى بثانيتين؛ والبتاني الذي رصد التغيرات في قطر الشمس الظاهري واستنتج احتمال حدوث كسوف حلقي للشمس؛ أما أبو عبد الرحمن الصوفي فهو أول من قال بكروية الأرض.

كذلك يتحدث الكتاب عن علماء عرب كثيرين غير هؤلاء كالبوزجاني وابن يونس والبيروني وابن الهيثم ونصر الدين الطوسي. ويشير جان بيار فردي إلى أن العلاقة التي ربطت بين علم الفلك بحاجات الشعوب اليومية جعلت هذا العلم ينشط ويتطور بسرعة، إذ انكب علماء الفلك على رصد النجوم والكواكب ومراقبة حركاتها ودراستها، فبرز الكثير من بينهم عبر التاريخ، كعالمي الفلك اليونانيين هيباخورس وبطليموس، ووضعت نظريات عدة لتفسير حركات الأجرام السماوية وتطورت.

يعتبر المؤلف أن علم الفلك لم يعتمد في مراحل تطوره على الرصد فحسب، فقد اتصل وارتبط، خلال تطوره وتوسعه، بعلوم كثيرة، من بينها علوم مساعدة كالرياضيات والبصريات، التي استعان علم الفلك بمبادئها ونظرياتها، وغيرها من علوم أسفرت عبر ارتباطها مع علم الفلك عن نشوء علوم جديدة ضمن إطار علوم الفضاء، كالفيزياء الفلكية التي نتجت عن الفيزياء، والكيمياء الفلكية التي نتجت عن الكيمياء، والطب الفلكي، وعلم الآثار الفلكي وغيرها من العلوم.